مجلة سوسيولوجيا
ISSN 2602-5647
EISSN2661-7803

المجلد04/ العـدد: 02 (ديسمبر 2020)، ص 90- 99

السيبرنطيقا و ما بعد الحداثة؛ بين السيميولوجيا المرحلية و تكامل أجزاء

Cybernétique et postmodernisme: entre la sémimologie et l'intégration de parties

بن الطاهر حمزة[1] ، بن الطاهر نور الدين[2]

BENTAHER Hamza[1] , BENTAHER Nourddine

[1] المركز الجامعي سي الحواس بريكة، **hamzabousaada59@gmail.com**

[2] جامعة لونيسي علي، البليدة.2، **bentaharnour73@gmail.com**

تاريخ الاستلام:2019 /10/30 تاريخ القبول: 2020/01/11 تاريخ النشر: 2020/12/27

الملخص: تتمخض المراحل التاريخية عادة عن العديد من الأوجه السيميولوجية الدالة عليها والموسومة بها، يعمد فيها التغير الاجتماعي على نحت نوازله وطوارئه على التركيبات المادية والمعنوية للإنسان والمجتمع. إذ يُعد تعاقب المراحل التاريخية ميزة جُبلت عليها كل المجتمعات الإنسانية، و التي لم تبدأ بالحداثة والأكيد أنها لن تنتهي عند ما بعد الحداثة، خاصة مع الحضور القوي لنظريات **زيغمونت بومان** عن الحداثة السائلة وانتهاء الحدود الجبرية المحددة والموجهة لآليات التثقف والمثاقفة والكسب القيمي، والتي تنتهي بنا عادة إلى تخوم التسليم بواقع جديد تتداعى فيه كل البناءات التقليدية المعروفة وضوابطها.

الورقة البحثية دراسة نظرية تحليلية تبحث في محاولة فهم الاستشكال المعرفي السوسيو-فلسفي المتضمن في الاستفهام: هل السيبرنطيقا صورة سيميولوجية عرضية لمرحلة ما عبد الحداثة أم أنها جزء داعم ومؤسس لهذه المرحلة؟

الكلمات المفتاحية: ما بعد الحداثة، السيبرنطيقا

Résumé : Les étapes historiques résultent généralement de nombreux aspects physiologiques et symboliques qui les caractérisent et les signifient, dans lesquels le changement social tend à sculpter leurs contingences sur les structures matérielles et morales de l'homme et de la société. La succession d'étapes historiques est un distinction pour toutes les sociétés humaines, qui n'a pas commencé avec la modernité et ne se terminera certainement pas dans le postmodernisme, en particulier avec la forte présence des théories **Zygmunt Bauman** sur la modernité liquide et la fini des limites compulsifs spécifiques déterminants et guidés de la contrainte aux mécanismes de la culturation et de la culturalisme et l'acquisition des valeurs , Qui Nous arrive généralement à la frontière de l'acceptation d'une nouvelle réalité dans laquelle toutes les constructions et les contrôles traditionnels connus s'effondrent.

المؤلف المرسل: بن الطاهر حمزة ، **الإيميل**: hamzabousaada59@gmail.com

Le document de recherche est une étude théorique analytique qui tente de comprendre le problème socio-philosophique inclus dans la question: la cybernétique est-elle un image sémiologique du stade postmodernisme ou s'agit-elle d'une partie intégrante et de soutien de ce stade?
Mots-clés: postmodernisme, cybernétique

***المقدمة**: وصول البشرية إلى المراحل المتقدمة للحداثة أفرد ألينا مجتمعات تسير بخطوات متسارعة وثابتة نحو الابتعاد عن الخصوصية والتميز، والاقتراب أكثر إلى تخوم التشابه والتطابق ولو في السياق العام للتأثر بنوازل التغير الاجتماعي ومقتضياته، حيث لم تعد الخصوصية أمراً حصرياً بمجتمعاتها المحلية، خاصة مع التطور الذي شهده عالم تكنولوجيا الإعلام مع الانتشار الواسع لصور العولمة.

ومن صور العولمة الضاربة في المخيال العالمي الشبكة العالمية(الانترنت) حيث لا يمكن تصور العولمة دون الركون إلى بُعدها التكنولوجي الهائل، ولقد لعبت السيبرنطيقا المرتبطة اليوم بوسائل التواصل الاجتماعي الدور الأبرز في تجسيد مرحلة ما بعد الحداثة التي تدعو إلى عالمية الثقافات والاقتصاديات وحتى القيم، ومنها أصبحت السيبرنطيقا الخط الأول في محاربة القيم التقليدية المحلية ومحاولة صهرها في القيم العالمية فهي –أي السيبرنطيقا– ركن أصيل من مرحلة ما بعد الحداثة يلعب دور الجزء لصالح الكل، وهو ما يلزم أصحاب هذه المقاربات باعتماد هذا التبرير، في حين يرى غيرهم أن مرحلة ما بعد الحداثة افرد ت إلينا العديد من المظاهر من بينها السيبرنطيقا، حيث هي وجه سيميولوجي لها.

وبين هذا وذاك أتت الورقة البحثية لمحاولة البحث في هذا القلق المعرفي و الإجابة عنه.

I – ما بعد الحداثة Postmodernism:

I – 1– تعريف ما بعد الحداثة:

تتألف الكلمة من شقين **ما بعد Post** و**الحداثة modernism**، فإذا كانت الكلمة (ما بعد) تعني المرحلة التي تلي، أو الفترة اللاحقة فان قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية "الشامل " يعرف الحداثة على أنها: نزعة التجديد، وهو مذهب يتجه إلى تفضيل كل ما هو عصري أو مستحدث عن كل ما هو قديم،

أما ظاهرة الحداثة فهي ظاهرة اجتماعية تتميز بعدة خصائص هي: الإبداع والتغير والسيطرة على الظواهر وإخضاعها لصالح الإنسان ثم التنوع والمرونة بالإضافة إلى توفير المهارات والمعارف الفردية للمعيشة في عالم تكنولوجي متقدم وأخيراً نزعة تأخذ بالأساليب الجديدة في جوانب الحياة الفكرية والعملية(1) ،

وتعرف ما بعد الحداثة دائماً انطلاقا من ذكر مرحلة الحداثة، حيث غالبا ما يرتبط المفهومان ما بعض على أساس إنهما مرحلتان متتاليتان، نشير في هذا السياق إلى موقف يورجين هابرماس Jurgen Habermas من هذا المفهوم في مقالة له بعنوان "الحداثة مشروع لم يكتمل" في عام 1981(2) ، حيث يرى بأن لفظة ما بعد الحداثة Postmodernism تمثل رغبة بعض المفكرين في الابتعاد عن ماض متشبع بتناقضات كبيرة وتعبر في الوقت نفسه عن سعي حثيث إلى وصف العصر الجديد بمفهوم لم تتحدد ملامحه بعد، وذلك لأن الإنسانية لم تستطع أن تجد الحلول المناسبة للإشكاليات التي يطرحها العصر. ووفقا لهذه الصيغة يرى هابرماس بأن ما بعد الحداثة هي صيغة جديدة لمفهوم قديم (الحداثة) وأن ما بعد الحداثة محاولة لإثراء مرحلة الحداثة ذاتها وإتمام مشروعها حتى النهاية.

وفي غمرة الانتقادات التي وجهت إلى الحداثة وفي ملامح الأزمة التي تعيشها الحداثة دفعت بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الإنسانية خرجت– تحت تأثير هذه الاختناقات الحضارية– من مرحلة الحداثة وبدأت مرحلة جديدة أطلق عليها ما بعد الحداثة. ويقدر فريق من هؤلاء الباحثين أن هذه المرحلة قد بدأت تاريخيا منذ عام 1968 وهي المرحلة التي عرفت بثورة الطلاب في مختلف عواصم العالم، وعلى خلاف ذلك يرى

الفريق الآخر من هؤلاء الباحثين أن مرحلة الحداثة قد بدأت مع سقوط جدار برلين تعبيرا عن سقوط المنظومة الاشتراكية.

I – 2– عوامل نشأة ما بعد الحداثة(3):

يذكر **اليكس كالنيكوس** أن القول بما بعد الحداثة نشأ بناءا على توفر ثلاثة عناصر متمايزة:

*– الردة على الحداثة: وتتمثل في الحركات الفنية المعاصرة وخاصة منها تلك التي اعتنت بمجال المعمار.

*– ظهور تيار اشتهر باسم ما بعد البنيوية : وقد كان من رواد هذا التيار **ميشيل فوكو، جيل دولوز** وتتلخص أطروحة هذا التيار في رفض شعار التنوير واعتباره مجرد وهم كما تتضمن القول بأن لا يمكن تناول الواقع والفكر إلا باعتبارهما متجزئين

*– ظهور نظرية المجتمع ما بعد الصناعي: والتي عمل على تطويرها علماء اجتماع كثيرون نذكر من بينهم عالم الاجتماع الأمريكي **دانيال بل** والفرنسي **ألان تورين**، فبالنسبة **لدانيال بل** العالم اليوم دخل عصرا تاريخيا جديدا أطلق عليه اسم العصر ما بعد الصناعي ويتميز هذا العالم بالأهمية التي صارت تحضى بها المعرفة(الثقافة) في الحياة المعاصرة والتي جعلت منها بدلا من الإنتاج المادي(الاقتصاد) القوة الدافعة الرئيسية للتطور.

I – 3– رواد نظرية ما بعد الحداثة(4):

I – 3–أ– جان بودريارد:

عالم اجتماع معاصر ذو جنسية فرنسية تعددت إسهاماته كغيره من علماء الاجتماع الفرنسيين المعاصرين، وإن كانت تحليلاته توصف كثيرا بأنها تبنت الاتجاه النقدي ولاسيما في حملته ضد الماركسية وغيرها من النظريات السوسيولوجية الكبرى له عديد المؤلفات منها كتاب المجتمع الاستهلاكي وكتاب نسق الأشياء

I – 3– ب– جون فرانسوا ليوتار:

الفرنسي متخرج من جامعة سربون بفرنسا من أهم المهتمين بمجال سياسات النقابات العمالية تأثر بآراء الفيلسوف **كانط** ،جاء أول مؤلفاته ليتناول الفينومينولوجية عام 1954أثرت فيه حياته بالجزائر حيث تلقى

تعليمه الأساسي لينظم بعد عودته لفرنسا إلى التنظيمات السياسية الاشتراكية، تعددت مؤلفاته في مجال ما بعد الحداثة وكان من اهتماماته كتابه عن حال ما بعد الحداثة الذي نشر سنة 1984ومجرد لعبة وصدر عام 1985والاختلاف الذي نشر سنة 1988رفض الأفكار والنظريات التي تقوم على العمومية، كما أن إسهامات **ليوتار** قد ركزت على إبراز دور نظرية ما بعد الحداثة والتي شملت جميع تحليلاته المتنوعة، كما انتقد بشدة العديد من النظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حاولت أن تؤكد وجود نظرية شمولية يمكن بها دراسة جميع أنماط المعرفة. فلقد أخذ حال ما بعد الحداثة برؤية نقدية تحليلية للنظريات الاجتماعية العامة والتي تمثلت في كتابات **ماركس وفرويد** .

ولقد سعى **ليوتار** لظهور علم خاص يرتبط بسوسيولوجيا ما بعد الحداثة وإن كان هذا العلم لا يزال في مرحلته الأولى بحسب تصور **أيان كريب** ولم تتبلور معالمه بصورة واضحة. كما تعكس آراء **ليوتار** حول سوسيولوجيا ما بعد الحداثة من خلال تركيزه على اللغة والمعرفة والأدب، وهذا ما سعى لتحليله بصورة خاصة في إشارته لظاهرة ثورة المعلومات والتي من خلالها يمكن استخدام المعرفة لدراسة البناءات والنظم الاجتماعية.

I – 3 – ج – سكوت لاش:

يرى **لاش** بإمكانية طرح الأفكار والتصورات المرتبطة بالحداثة في إطار نظرية سوسيولوجية معاصرة، ويمكن أن تكون بديلا للنظريات السوسيولوجية التقليدية أو غيرها من النظريات المتعددة الانتماء بين العلوم الاجتماعية ولاسيما الفينمونولوجية أو الاثنوميثودولوجية فلقد حاول أن يعالج في كتابه سوسيولوجيا ما بعد الحداثة كثير من القضايا، وقد سعى لتحديد فيه لتحديد ماهية سوسيولوجيا ما بعد الحداثة حيث تخلى عن الكثير من الأفكار التي طرحها غيره من رواد ما بعد الحداثة والذين ربطوا الحداثة بالفلسفة والسياسة والاقتصاد والأدب والفنون وأيضا علم الاجتماع. ويحدد سوسيولوجيا الحداثة باعتبار أن العلم يتكون من ثلاث مقولات أو أفكار أساسية مرتبطة بعضها البعض وهي بإيجاز:

* فكرة التغير الثقافي : وذلك بإعتبار أن عملية التحديث ما هي إلا عملية تعكس التباين والاختلاف الثقافي بينما فكرة ما بعد الحداثة تعتبر العملية التي تهتم بدراسة التباين أو التمايز الثقافي.

* فكرة النمط الثقافي: هذا باعتبار أن الحداثة ما هي إلا حصيلة عملية التكوين الثقافي، أما ما بعد الحداثة فإنها تعالج الجزئيات أو العناصر الداخلية التي تشملها عملية التكوين الثقافي.

* فكرة الحراك أو التنقل الاجتماعي: باعتبار أن هذه العملية ما هي إلا المنتج الخاص بعملية الحداثة وذلك لارتباطها بالأفراد أو الجمهور الثقافي، أما ثقافة ما بعد الحداثة فإنها تتميز بخصائص وسمات معينة والتي تتميز بها الطبقات والفئات الاجتماعية التي تنوعت بصورة كبيرة خلال مراحل ما بعد الحداثة.

كما أعطى **لاش** اهتماما ملحوظا بدراسة ثقافة ما بعد الحداثة وخاصة عندما اهتم بمعالجة النظرية النقدية الكلاسيكية والتي جاءت في أفكار مدرسة فرانكفورت.

I – 3 – د – نيكوس ميزليس:

أستاذ علم الاجتماع بمدرسة لندن للاقتصاد له عديد المؤلفات مثل النظرية التركيبية السوسيولوجية والذي نشر سنة1990تندرج أهمية تحليلاته تحت نطاق ما بعد الحداثة ولكنها تأخذ منحى آخر عن بقية التحليلات السابقة، فما يتضح من كتابات **ميزليس** مدى حرصه الشديد على العودة إلى النظرية السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة.

سعى **ميزليس** لتحليل العديد من الأفكار البارسونزية وحاول أن يصنف إسهامات ونظريات بارسونز حول مكونات هذه الفكرة بالإضافة إلى آراء ماركس أيضا، كما سعى إلى تحليل العديد من الإسهامات في مجال النظرية الاجتماعية والتي لم تفهم بارسونز بصورة كاملة، كما سعى إلى وضع إطار فكري وتصوري يمكن من خلاله إرشاد وتوجيه أصحاب النظريات الاجتماعية للعودة مرة أخرى وبإيجاز إن محاولة **ميزليس** تعتبر من المحاولات التي يمكن أن نطلق عليها ما بعد الوظيفية أو ما يعرف بالوظيفية المحدثة.

II – السيبرنطيقا:

II –1– توطئة:

تنسب السيبرنطيقا إلى عالم الرياضيات **نوربرت فيينر Norbert Weiner** الذي كان يهدف إلى تحديد السبل العلمية الدقيقة التي يستطيع من خلالها مدفع أرضي أن يصيب هدفاً متحركاً يسير بسرعة فائقة(5).

ففي مجال العلوم التطبيقية فتحت مجال البحوث للوصول إلى آلات ذكية وظهر ما يعرف بالذكاء الاصطناعي الذي يتمثل في الروبوتات ، وأجهزة الكمبيوتر وغيرها من الآلات التي أصبحت تنافس الإنسان إلى حد ما .

و رغم أن السيبرنطيقا لا تزال عبارة عن مفهوم يشوبه الغموض إلا أنه يوجد اتفاق مبدئي على أن السيبرنطيقا تعني التحكم ،وهدا استنادا على المعنى اللغوي للمصطلح، فقد أطلق أفلاطون مصطلح kubernetike على موجه السفينة.

II – 2– تطبيق السيبرنطيقا في العلوم الاجتماعية :

إن دراسة تطبيق السيبرنطيقا في الميدان الاجتماعي تدفعنا إلى التعرض لزاويتين مختلفتين، فالزاوية الأولى تتمثل في النتائج المترتبة عن السيبرنطيقا كفكرة علمية تقنية والتي فتحت المجال لتطوير الآلة، وأفرزت ما يعرف بالذكاء الاصطناعي،الذي تمثل في أجهزة الحاسوب، والرجل الآلي وغيرها من الوسائل وتكنولوجيا المعلومات. وقد فرضت هده الأجهزة والتكنولوجيا نفسها على المجتمع وأصبحت تعرف بالثورة السيبرنطيقية ، cybernétization of society وهو مفهوم استخدم لوصف الانتشار الواسع للأنظمة السيبرنطيقية في المجتمع.

وهنا كغيرها من المفاهيم الاجتماعية عرف المفهوم رأيين متعارضين، حيث هناك من يرى أن السيبرنطيقا تمكن الإنسان من تنظيم عالمه و بيئته تنظيماً محكماً، كالاعتماد على الحاسوب الإلكتروني الذي يستطيع أن يقوم بأفعال وعمليات عقلية بصورة سريعة ومدهشة من خلال استخدام المعلومات بطريقة يعجز عنها العقل البشري،

فالسيبرنطيقا ستتيح للإنسان قدرة هائلة على مواجهة مشكلاته وإمكانية إيجاد الحلول بناءا على تراكم المعلومات من جهة وعلى التحكم بالبيئة الفيزيقية والاجتماعية من جهة أخرى .

أما الموقف المعارض فيرى أن انتشار السيبرنطيقا على نطاق واسع يؤدي إلى الحد من حرية الإنسان من خلال نمدجة مساراته العقلية حسب أهداف محددة(6) ، كما يوجد تنبؤ بحصول ضعف عقلي عند الإنسان العادي بسبب الإفراط في استخدام الآلات.

أما الزاوية الثانية فتتمثل في استخدام المبادئ السيبرنطيقية في الدراسات الاجتماعية، بمعنى أن الظواهر والسلوكيات الاجتماعية يتم التعبير عنها بطريقة رياضية تقنية قصد توجيهها والتحكم فيها، وهدا ما أطلق عليه بالمقاربة السوسيوسيبرنطيقية.

يشكل مفهوم السيبرنطيقا غموض كبير خاصة في الوسط العربي ، ويرجع هدا لكون السيبرنطيقا مفهوم حديث النشأة ،ولكونها كذلك تختلف عن المصطلحات اللاتينية التي غالبا ما تكون مكونة من « logy » والتي تعني العلم.

III- السيبرنطيقا ومرحلة ما بعد الحداثة:

ارتباط مرحلة الحداثة التي ظهرت في عصر التنوير بقيم العلم والتقدم والحرية والانفصال التام عن التفكير القديم المتحجر، أوصل المجتمع البشري لعقود طويلة إلى مستويات متقدمة من التطور المادي والرقي الفكري، انتهت في مرحلة ما بعد الحرب العالمية إلى إعادة النظر في تلك المسلمات التي كادت أن تصل بالبشرية إلى هلاك، فالتقدم المادي و الفكري في الحدود الإقليمية المنعزلة ايجابي بقدر ما هو خطير ، حيث يعمل على إبراز ودعم القيم الوطنية الخاصة، و التي خلقت في مرحلة ما الفكر النازي إلى جانب الأعجوبة الاقتصادية الألمانية، و الإمبراطورية اليابانية... وغيرها، وتعالت الأصوات الداعية إلى التفكير في مرحلة ما بعد هذه المرحلة (مرحلة ما بعد الحداثة) ومحاولة القولبة العالمية للفكر الإنساني وثقافاته بما ينقل العقل البشري عبر الحدود الإقليمية إلى العالمية و البحث في سبل توحيده، فكانت أولى محطاتها الإضرابات والاحتجاجات العالمية للطلبة الجامعيين سنة 1968، تجسدت بشكل نهائي بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وظهرت إذ ذاك بشكل واضح في تصورات العولمة.

لقد أفردت العولمة للإنسانية العديد من مظاهر الثقافات الأخرى، وأنهت التمسك بالثقافات المحلية ومعاداة غيرها، فأصبحت الثقافات العالمية متجسدة في شارع بسيط من شوارع مدينة عادية تجمع مطاعم البيزا الايطالية والسوشي الياباني والهمبرغ الأمريكي، في حين ينقل التلفزيون عديد الثقافات العالمية الغربية والشرقية للأسرة المحلية.

ولعل قمة التطور في هذه المرحلة الشبكة العنكبوتية (الانترنت) المتضمنة لوسائل التواصل الاجتماعي، والتي أسهمت بشكل واضح في نشر ثقافة العولمة داخل المجتمعات المحلية، وكان لها بما لا يدعو مجالا للشك الدور الأساسي في جلب المظاهر العالمية و اكتساب قيمه، فهي – أي وسائل التواصل الاجتماعي- أثرت بشكل بالغ في نشر و تجسيد مرحلة ما بعد الحداثة، في حين أصبحت من الصور السيميولوجية السائدة لها، بل وصار من المجانبة عدم ربط المرحلة بها.

خاتمة:

إذا ما كان ارتباط السيبرنطيقا بتكنولوجيا التواصل (وسائل التواصل الاجتماعي) حقيقة واقعة أثبتتها المفاهيم المرتبطة كالجريمة السيبرانية Cybercrime ، الأمن السيبرانيCyber Security ، الفضاء السيبراني Cyberspac

فان الحديث عنها هو في الأساس الحديث عن التواصل الاجتماعي، حيث من المفارقات المعروفة في هذا المجال أن مرحلة ما بعد الحداثة تجسدت عند اغلب الشعوب بالتطور المبهر في تكنولوجيا التواصل، هذه الأخيرة التي أثبتت فعاليتها بما أثرت به و بشكل واضح في تجسيد هذه المرحلة ودعمها والدعوة لها داخل الحيز الجغرافي المحلي، في تمظهر صريخ ومعادي للقيم الاجتماعية المحلية، ننتهي في الأخير إلى توليفة إجابة للاستفهام؛ حيث نعتبر السيبرنطيقا وجها سيميولوجياً لا يزال يمثل مرحلة ما بعد الحداثة، يلعب دوراً مهماً كجزء معرفي وسوسيو-ثقافي للمرحلة ككل.

قائمة المراجع:

1- بن سولة نور الدين: **السيبرنطيقا و وسائل الإعلام**، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد2، جوان 2014، الصفحات (123-134)، مركز جيل البحث العلمي، ص.125

2- خير الله عصام: **مدخل للسيبرنطيقا الاجتماعية؛ محاولة التحكم بالسلوك الاجتماعي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2002 ، ص51-52

3- مُحَمَّد الشيخ و ياسر الطائري: **مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة؛ حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر**،ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت،لبنان،1996، ص 123- .124

4- مصلح الصالح: الشامل؛ **قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي عربي**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1999، الرياض، ص.346

5- مقال بعنوان : نظرية ما بعد الحداثة نقلا عن عبد الله مُحَمَّد عبد الرحمن،النظرية في علم الاجتماع الجزءالثاني، دار المعرفة الجامعية، مصر، على الرابط http://socio.montadarabi.com/t3536-topic بتاريخ 12جوان 2014، تم الاطلاع عليه في 2018/03/28، على الساعة:23:25

[6] - Jurgen Habermas: La modernité, un projet inachevé, Critique, n° 413, Octobre, 1981, pp950-967